نقش جنائزي بالخط الكوفي من كنيسة (سان سيستو) في مدينة بيزا الإيطاليّة

أ.م.د. علي فرج

جامعة ميلانو . بيكوكا

Tombstone with Kufic script from the Church of San Sisto in Pisa, Italy

Ali Faraj

University of Milano-Bicocca

الملخص

يمتد الوجود العربي في شبه الجزيرة الإيطاليَّة وجزرها من القرن التاسع إلى القرن الحادي عشر، وذلك وفقًا للمعلومات التي قدمها لنا المؤرخون.
يوصف هذا الحضور الحيّ بشقين، أمّا الأوّل فهو المادي العماريّ حيث تحتفظ المتاحف بالعديد من الشواهد الأثريّة النفشيّة والخطيّة العربيّة الفنيّة المهمة والنادرة. وامّا الشق الثاني فهو الثقافي الاجتماعي، المتمثل بالحضور اللغويّ الواسع في اللغة الايطاليّة، ذلك لأنها أحد البلدان التي حظيت، شانها شان سائر الانسانيّة بثمار الحضارة العربية الثقافيّة والعلميّة.سنسلط الضوء هنا على مدينة بيزا الايطاليّة ـــ الجمهورية البحريّة آنذاك ـ حيث تمتعت بمكانة مهمة خلال العصور الوسطى، وتتجلى هذه الأهمية في جميع معالمها العماريّة وفي مختلف الأعمال الفنية المحفوظة في قاعات المتاحف وفي كنوز الكنائس من بين هذه الشواهد نجد أيضًا، قطعًا اثريّة ثمينة من الفن الإسلامي، على سبيل التمثيل، طائر العنقاء (الهجين) المشهور – حيث كان موضوعا على سطح سقف الكاتدرائيّة المركزيّة، تحديدا في الجزء العلوي من سقف الصحن المركزيّ للكاتدرائيّة – أمّا اليوم فهو محفوظ في متحف (ديل أوبرا ديل دومو) ، لعله احد غنائم الحرب التي تم الحصول عليها في واحدة من معارك البيزانين ضد المسلمين. كما ان هناك قطع اثريّة اسلاميّة خُزنت في أماكن أخرى من المدينة، بما في ذلك كنيسة سان سيستو الرومانية، حيث يُخزن النقش الجنائزي فيها موضوع بحثنا هذا. يُعنى البحث بعرض تاريخيّ، وصفيّ، ودراسة لغويَّة تحليليّة لمفرداته هذا النقش الجنائزيّ نُحِتَ نحتا بارزا وبخط كوفي على لوح رخامي، باسم الأمير (أبو نصر محمد عبد الله بن أغلب)، ويروى انه يُعرف بـــ (المرتضى) ومازال النقش محفوظا مع نفائس أخرى، كما ذكرنا، في الكنيسة الرومانية المكرسة لسان سيستو، الواقعة في مدينة بيزا ضمن مقاطعة توسكانا الايطاليّة.نُقِشَ هذا النقش بالخط الكوفي في إطار زخرفي بسيط، ويتكون النص من أربعة عشر سطرًا تبدأ بالبسملة يتبعها اسم المتوفى وتتضمن أيضًا آيات قرآنيَّة.
الكلمات المفتاحيَّة: نقش عربي، نقش جنائزي، بيزا، اللغة العربيّة، إيطاليا.

Abstract

Tombstone with Kufic script from the Church of San Sisto in Pisa, Italy
According to information provided by historians, the Arab presence on the Italian peninsula and its islands extends from the ninth to the eleventh century.
This presence is evident in two aspects. The architecture and the archaeological field - museums hold many rare inscriptions and Arab artifacts - and the social and cultural field, of which the wide presence of Arabic words in Italian language, among others, is an expression.We will highlight here the Italian city of Pisa - a maritime republic at the time – that reached an important position during the Middle Ages, and whose importance is reflected in all its architectural landmarks and in the various artifacts preserved in the halls of museums and in the treasures of churches. Among these evidences, we also find precious relics of Islamic art, for example, the famous griffin bird - that was located on the roof of the central cathedral, at the top of the ceiling of the central nave - currently preserved in the "Museo dell'Opera del Duomo" (Cathedral Museum), perhaps, one of the spoils of war obtained in one of the battles conducted by the Republic of Pisa against Islamic states. There are also Islamic relics stored in other parts of the city, including the Roman Church of San Sisto, where the tombstone subject of our research is housed.This work aims to present an historical description and a linguistic analysis of the funerary inscription carved out of a marble plaque for the prince (Abū Naṣr Muḥammad Abdullāh bn Aġlab), known as 'Abd-Allāh bn al-Murtaḍā bn al-Aġlab (governor of Mallorca (?, 1057). that, as we mentioned above, is housed in the Roman Church dedicated to San Sisto in Pisa, in the Italian
Keywords
Arabic inscription, al-Aġlab, Mallorca, Pisa, Arabic language

المقدمة:

يمتد الوجود العربي في شبه الجزيرة الإيطاليَّة وجزرها، تاريخيّا، من القرن التاسع إلى القرن الحادي عشر، وذلك وفقًا للمعلومات التي قدمها لنا المؤرخون.

يوصف هذا الحضور الحيّ بشقين، أَمّا الأوّل فهو المادي العماريّ حيث تحتفظ المتاحف بالعديد من الشواهد الأثريَّة النقشيَّة والخطيَّة العربيَّة الفنيّة المهمة والنادرة. وامّا الشق الثاني فهو الثقافيّ الاجتماعيّ، المتمثل بالحضور اللغويّ الواسع في اللغة الايطاليَّة، ذلك لأنها أحد البلدان التي حظيت، شانها شان سائر الانسانيّة بثمار الحضارة العربيَّة الثقافيَّة والعلميَّة.

سنسلط الضوء هنا على مدينة بيزا الايطاليَّة . الجمهوريَّة البحريَّة آنذاك . حيث تمتعت بمكانة مهمة خلال العصور الوسطى، وتتجلى هذه الأهمية في جميع معالمها العماريَّة وفي مختلف الأعمال الفنية المحفوظة في قاعات المتاحف وفي كنوز الكنائس من بين هذه الشواهد نجد أيضًا، قطعًا اثريّة ثمينة من الفن الإسلامي، على سبيل التمثيل، طائر العنقاء (الهجين) المشهور – حيث كان موضوعا على سطح سقف الكاتدرائيّة المركزيّة، تحديدا في الجزء العلوي من سقف الصحن المركزيّ للكاتدرائيَّة – أمّا اليوم فهو محفوظ في متحف (ديل أوبرا ديل دومو) ، لعله احد غنائم الحرب التي تم الحصول عليها في احدى المعارك التي شنتها قوات الممالك الإسبانية المسيحية وحلفائها الذين حشدتهم البابوية، ومن المشاركين البيزانيون أي الايطاليون (نسبة لمدينة بيزا)، وذلك في سنة (1212 م[1]) ضد دولة الموحدين وتحديدا هنا جزيرة ميورقة[2]. وكان هذا الغزو مكون من اتحاد جمهوريتي: بيزا وجنوا وامارة برشلونة[3]

كما ان هناك قطع اثريَّة اسلاميَّة خُزنت في أماكن أخرى من المدينة، بما في ذلك كنيسة (سان سيستو) الرومانيَّة، حيث يُخزن النقش الجنائزي فيها موضوع بحثنا هذا.

يُعنى البحث بعرض تاريخيّ، وصفيّ، ودراسة لغويّة تحليليَّة لمفرداته هذا النقش الجنائزيّ نُحِتَ نحتا بارزا وبخط كوفي على لوح رخامي، باسم الأمير (أبو نصر محمد عبد الله بن أَغلب)، ويروى انه يُعرف باسم (ابن المرتضى بن الاغلب) ومازال النقش محفوظا مع نفائس أخرى، كما ذكرنا، في الكنيسة الرومانية المكرسة لسان سيستو، الواقعة في مدينة بيزا ضمن مقاطعة توسكانا الايطاليَّة.

نُقِشَ هذا النفش بالخط الكوفي في إطار زخرفي بسيط، ويتكون النص من أربعة عشر سطرًا تبدأ بالبسملة يتبعها اسم المتوفى وتتضمن أيضًا آيات قرآنيّة.

يقع هذا الشاهد الجنائزي في كنيسة (برينسيس) الرومانية المخصصة لـ (سان سيستو)، الواقعة في مدينة بيزا.

الكلمات المفتاحيَّة: نقش عربي، نقش جنائزي، بيزا، اللغة العربيَّة، إيطاليا.

مسيرة النقش

يُعَدّ المستشرق الإيطالي (جوفاني باتيستا بليغريني) هو أَول من اشار الى وجود هذا النقش وذلك في عام (1972 م) ناشرا صورته في كتابه: وترجمة عنوانه (الحضور العربي في اللغات اللاتينية الجديدة، الايطاليّة، تحديدا)[4] حيث حثَّ اللغويين والمستشرقين الإيطاليين داعيا إياهم لقراءة هذا النقش القيّم دراسة علميّة مفصلة ونشره في مجلة علميّة، وفعلا، تصدّى لهذه المهمة المستشرق الإيطالي

(كارلو نَلّينو) حيث قام بقراءة وترجمة تعريفيّة اعلاميّة سريعة . ليس الاّ. وُضِعت لاحقا بجانب النقش. يؤرخه (كارلو نَلّينو) . معتقدا . بانه يعود الى 1385/786[5].

وفي عام 1980قامت الباحثة الايطاليّة (ماريا جوفانّا ستاسولّا) بقراءة هذا النقش قراءة سريعة مقبولة، نُشرت كبحث في مجلة علميّة رصينة. وبعد مرور ستة وعشرين عاما جاءت الاسبانيّة (بارجيلو كارمين) لتتحفنا بدراسة مفصلة لا يمكن غمطَ جهدها هذا، فقد اعتمدت على شكل نموذجي من شواهد القبور الأندلسية ساعدتها في إعادة قراءة الاجزاء المفقود قراءة متكاملة قيمة، فهي عندنا الأفضل قياسا الى الايطاليّة (ستاسولّا) اذ نُشرت دراستها في عام 2006 وباللغة الايطاليّة [6]. قدمت الاسبانيّة (بارجيلو كارمين) تحليلًا دقيقًا مفصلاً مع تعليقات غنية.

وصف النقش

شَاهِدَةُ القبر غير مكتملة اذ أصابها كسر كان له أثره على وضوح اكتمال المعنى؛ ففُقِدَ منه طرف الجانب الأيسر الذي تسبب في ضرر الأسطر الستة الأخيرة.

أبعادها هي: الارتفاع 76 سم، العرض 45 سم . النقش مؤطر بشبه قوس مدعوم بعمودين (بقي منها العمود الأيمن فقط)، ويتكون النص من أربعة عشر سطرًا، الاول وطوله 4.5 سم، اما الأخير 3.5 سم .نُحِتَت نحتا بارزا وبخط كوفي غير المنقط داخل إطار زخرفي بسيط.

قراءة النقش

1	«|بسم الله الرحمن الرحيم|*
2	يأيها الناس ان وعد الله حـحق>|
3	فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولـحا>
4	<يغر>|نكم بالله الغرور* توفي الامير
5	<المر>|تضد نضر الله وجهه ابي محمد <عبد>|
6	الله بن اغلب ضحى يوم السبـ حت>|
7	لاربع عشرة ليلة|
8	بقيت من ذي الحجة عاحم>|
9	ستة وثمانين < واربع مائة >...|
10	وكان مولد<هـ يوم الخميس>|
11	لخمس بقين من < ربيع الاخر>|
12	سنة ثمان واربـحعين واربع>|
13	مائة رحمه الـحله ورحم من ترا>
14	حم |عليحه امين رب العلمين...»

ملاحظات

ليس من الشائع العثور على اسم المتوفى في مثل هذه النقوش الاندلسيَّة، الاّ إذا كان الامر متعلقا بوفاة شخصية كانت تشغل مكانة سياسيّة او اجتماعيّة رفيعة، عندها تذكر سنة وفاته ولقبه كصفة فخريّة شرفيَّة امام الاسم والنسب، ويمدنا هذا النقش باللقب الفخري (الأمير) وكنيته الاولى (أبو نصر) يتبعها الكنية الثانية (أبو محمد) ثم الاسم (عبد الله)، يليه النسب (الاغلب). لم يُشِر النقش الى اسم موقع جغرافي يفيدنا في معرفة مكانه الاصلي.

لإكمال الكلمات والجمل الساقطة من النقش فقد أُستعين بالكتابات النقشيّة الأندلسيَّة الجنائزيَّة المشابه . التي تعود الى النصف الثاني من القرن الحادي عشر. فهي تقدم لنا شكلاً متطابقًا تقريبيّا لهذا النقش. حيث يُتَّبع في هذه النقوش . غالبا . الترتيب الاتي[7]:

1 الابتداء بالبسملة.

2 الآية القرآنيّة [الحديد: 5].

3 استخدام الفعل: تُوفي... أو: هذا قبر...

4 اسم وألقاب المتوفّى.

5 الصلاة او الدعاء للمتوفى وأحيانا الاختتام بالشهادة او بصيغة (امين، ربُّ العالمين).

ليس من الشائع . في مثل هذه النقوش – العثور على تاريخ ولادة المتوفّى، فنجد . على سبيل التمثيل . الجملة: (وكان مولدُه...) على نقش يعود لسنة 1113 م[8].

يخبرنا النقش بتاريخ يوم الوفاة وهو السبت، ثم الأسبوع والشهر وسنة الوفاة، كما كان عليه شائعا في مثل هذه النقوش الأندلسيّة التي تعود الى الحقبة ما بين 1045 و1102.

نستنتج من تشابه هذا النص مع شكل النقوش الأندلسيَّة ومضمونها – لاسيما مع تلك التي تعود الى القرن الحادي عشر – ان شاهدة هذا القبر – مصدرها وعائدتيها، على الأرجح، هي المجموعة النقشيّة الحجريَّة الاندلسيَّة [9].

التعليق

السطر 2/ 3: في مثل هذه النقوش، عادة ما يُستشهد ويُفتتح بالآية القرآنيَّة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [الحديد: 5].

السطر 5 /6: توسطت الجملة الدعائيَّة (نَضَّـرَ اللهُ وجهه) بين لقب المتوفى (المرتضى) وكنيته (ابي محمد)، وهو سياق نموذجي معمول به في مثل شواهد القبور الأندلسيَّة.

السطر9: فعلى الرغم من سقوط العدد الرقمي (أربعمئة) فهذا لا يمنع من تحديد تاريخ هذا النقش المتوافقة مع التاريخ 486 هـ، التي حكم فيها – حينئذ – (المرتضى) ملك الجزيرة ميورقة، المكان الأصلي للنقش.

السطر7؛11: لأربع، لخمس: اللام هنا لام الابتداء: وتكون في صدارة الكلام أو ما له الصدارة في الكلام، ووظيفتها هي توكيد الكلام وتثبيت المعنى.

المتوفى – لمحة تاريخيَّة

يشير النص الى ان المتوفى هو امير، ولعله كان يشغل مكانة متميزة بين الزعماء أو المحافظين المحليين لإحدى مقاطعات الأندلس المختلفة عهد حقبة (ممالك الطوائف والجزائر الشرقية) ، أي القرن الحادي عشر، الحقبة التي تتشابه فيها ملامح شواهد القبور والزخارف والكتابات التي تم مقارنتها.

أِنَّ من المعطيات والاشارات المساعدة على تحديد هويّة المتوفى، هي تلك التي زودنا بها بعض المؤرخين، فحسب وَصْفهم، ان هذا الاسم مثبَّت ضمن سلسلة القادة المحليين – كونه (شخصية وجيهة كبيرة)، عُرفت باسم (عبد الله بن أغلب)، حيث شغل آخر حاكم لجزيرة ميورقة، حيث عيّنه علي بن مجاهد اقبال الدولة العامري – ملك دانية[10] – على جزيرة ميورقة (1045–1076م)، وكان ابوه حاكما على الجزيرة ذاتها وذلك في عصر (مجاهد) ملك جزيرة دانية. فبعد بضع سنوات على افول مملكة دانية (1076م)، تم تنصيب (عبد الله بن أغلب) اميرا مستقلا على جزر البليار وتبنى لقب (المرتضى) حتى وفاته في (1094–1093م). ثم خلفه (المُبَشِّر بن سليمان) بلقب (ناصر الدولة)[11] الذي قُتِلَ في عام (1114م) وذلك خلال الاحتلال البيزاني (الإيطالي) الكتالوني (الاسباني) لجزر البليار، أي قوات الممالك الإسبانية المسيحية [12].

لتحديد حقبة حكم (عبد الله بن أغلب) فقد اعتمد روسيلو[13] العملات المعدنية التي صدرت في ميورقة التي تحمل اسم (المرتضى)، معتقدا بانه كان واليا بين المدة الواقعة بين (1053 – 1087م)، بينما حكم كأمير من العام (1087م) حتى (1093م) بينما يرى واسرشتاين[14] ان مدة ولايته بدأت، ربما، منذ (1070 أَو في 1071م) وحدد استقلال دولة (المرتضى) في عام (1076م) وير ى روبييرا[15] أن الاغلب كان عبدا لمجاهد اعتقه فيما بعد، وجعله حاكما يحكم باسمه على الجزر الثلاث وذلك

من (1036حتى 1045م) ثم خلفه ابنه (عبد الله بن أغلب) في الحكومة نفسها ليحكم عام من (1050حتى 1076م)، وفي عام (1076م) تم تنصيبه أميرا مستقلا. وقد صدر مؤخرًا رأيا لـ: فيغويرا [16]المؤيد لرأي (روسيلو) في امر تسنم (عبد الله بن أغلب) منصب الولاية، الا انه يختلف معه في عام صعوده العرش حيث يؤرخه في (1076م).

ومع ذلك، فمن الصعب تحديد التسلسل الزمني الدقيق لمسيرة (عبد الله بن أغلب) ذلك لشحة الأخبار التي قدمها لنا المؤرخون العرب عن حكومة جزيرة ميورقة في هذه الحقبة. وعليه ليست هناك معلومات تاريخية دقيقة تتعلق بأحداث سنوات ولايته، الاّ ان حقيقة تاريخ وفاة هذا الأمير تبقى لدينا مؤكدة، حيث بدأ حكمه بالانتهاء (1093م) حينها أصدر العملة. وفي عام (1094م) ظهر اسم خليفته المبشر[17].

من هم بنو الأَغلب؟

يُجمع المؤرخون في أَنَّ بني الأَغلب يرجعون في أَصلهم الى قبيلة تميم بن مر المضرية ونسبها (تميم بني مر بن أزد بن طانخة بن الياس بن مضر). مؤسس دولتهم هو إبراهيم بن الاغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي، كان والده الاغلب من جند مصر، قدم من مرو الروذ ودخل افريقية في قوات محمد بن الاشعث.

سار نظام الحكومة الأغلبية على نمط حكومة بغداد كونها تابعة للخلافة العباسية وذلك بموجب الاتفاق الذي تم بين الرشيد وإبراهيم بن الاغلب مؤسس الدولة، شعارهم اللون الأسود كما هو الحال عند العباسيين. تمتد امارتهم من طرابلس الى الحفنة والزاب. أمّا المذهب الذي كان متبعا في افريقية أيام الاغالبة فكان الحنفي. ولكن لتلاميذ المدرسة المالكية من الجاه والاحترام والتقدير. فحول دورهم

الحضاري العماري والثقافي والاقتصادي والاداري في افريقية وغيره من الجوانب، فانا أحيل القارئ الى بحث الدكتور عبد الرحمن حسب الله الحاج احمد، ففيه من المعلومات الغنيّة.[18]

المصادر باللغة العربيّة

أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، تاريخ ميورقة، تحقيق د. محمد بن معمر، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، 2007.

ابن الكردبوس، الاكتفاء في اخبار الخلفاء (قطعة تاريخ الاندلس)، تحقيق مختار العبادي، مدريد: المعهد المصري للدارسات الإسلامية 1971.

عبد الرحمن حسب الله الحاج احمد، بنو الاغلب: ادارتهم ودورهم الحضاري في افريقيا، مجلة دراسات إفريقية – العدد 20، يناير 1999م

المصادر باللغات الاجنبيّة

Barceló Carmen (2006), “Un epitaffio islamico proveniente da Maiorca portato a Pisa come trofeo di guerra?”. Quaderni di Studi Arabi. Nuova Serie (Rivista annuale publicatate, Roma), 1 pp. 55-68.

Ocana Jimenez, M. 1964, *Repertorio de inscripciones arabes de Almeria*, Madrid-Granada.

Pellegrini, Giovan Battista 1972, *Gli arabismi nelle lingue neolatine con speciale riguardo all’Italia*, 2 vol., Brescia

Rossello Bordoy, G. 1969, *L’Islam a les Illes Balears*, Palma de Mallorca.

Rubiera, M. J., (1985), *La Taifa de Denia*, Alicante; D. Wasserstein.

Stasolla, Maria Giovanna, “L’iscrizione araba della chiesa di San Sisto in Pisa”, Studi Magrebini, XII (1980), pp. 99-102 + tav.

Viguera, M.-J. (1994) "Historia politica", in *Los Reinos de Taifas. Al-Andalus en el siglo XI* [*Historia de Espania. Menendez Pidal*. vol. VIII/1], Madrid, pp. 31-129.

Wasserstein, David 1985, *The Rise and Fall of the Party-Kings: Politics and Society in Islamic Spain, 1002 – 1086*. Princeton, N. J.

الصورة: 1

شاهد النقش قبل الترميم وإعادة القراءة

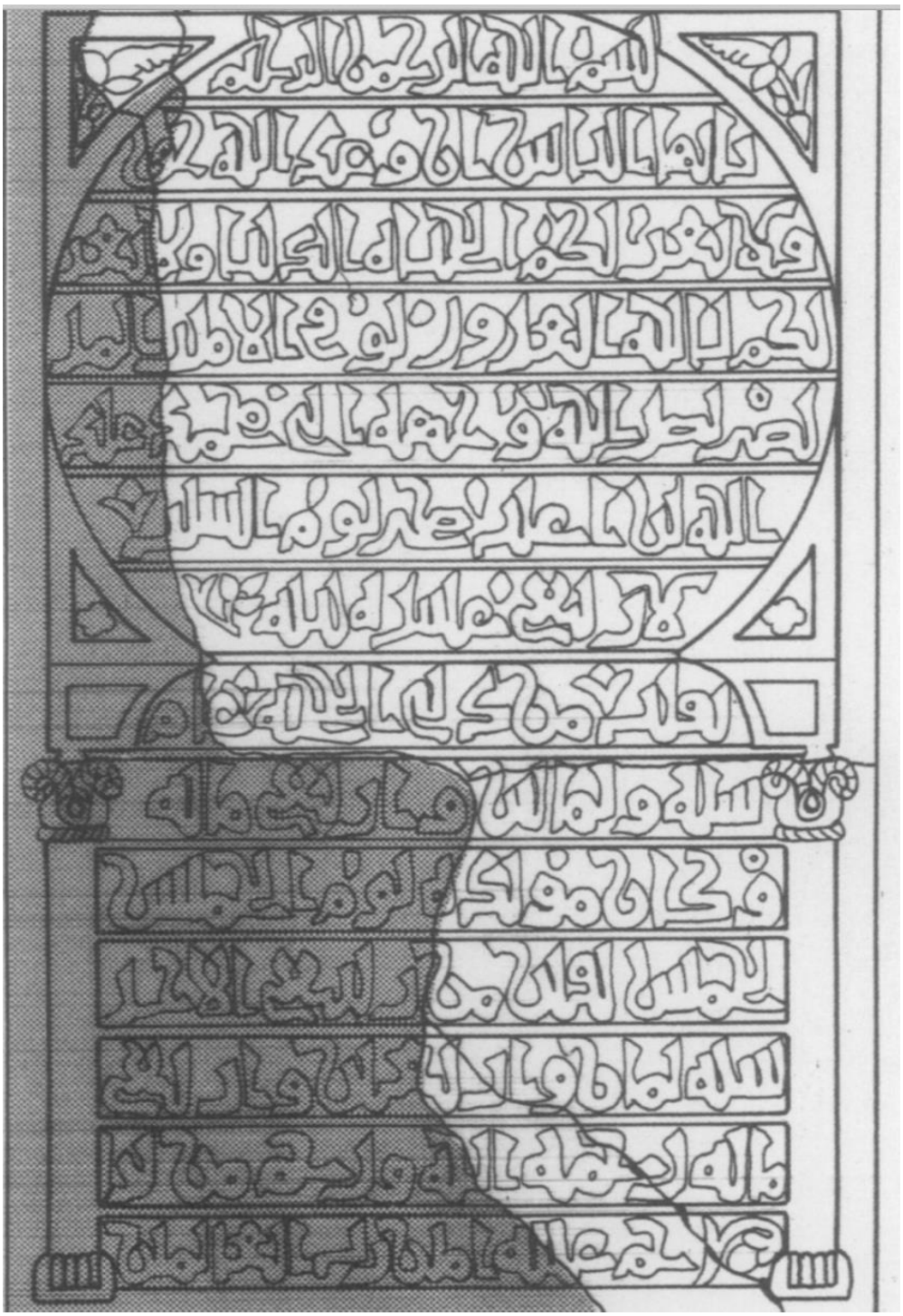

الصورة: 2

شاهد النقش بعد الترميم وإعادة القراءة

الهوامش

[1] للمزيد حول تاريخ سقوط هذه الجزيرة، يُنظر: أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، تاريخ ميورقة، تحقيق د. محمد بن معمر، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، 2007، ص 36.

[2] ميورقة واحدة من جزائر الأندلس الشرقية المعروفة باسم جزر (البليار)، وهي ثلاثة جزر: ميورقة ومنورقة ويابسة، وتعدّ ميورقة أكبرها وعاصمتها، افتتحها عبد الله بن موسى بن نصير عام 98 هـ. يُنظر: تاريخ ميورقة، ص26.

[3] يُنظر: ابن الكردبوس، الاكتفاء في اخبار الخلفاء (قطعة تاريخ الاندلس)، تحقيق مختار العبادي، مدريد: المعهد المصري للدارسات الإسلامية 1971، ص122 وما بعدها.

[4] Pellegrini, Giovan Battista 1972, II: p. 411 n. 14; p. 576.

[5] Pellegrini, Giovan Battista 1972, II: 576.

[6] Stasolla, Maria Giovanna, “L’iscrizione araba della chiesa di San Sisto in Pisa”, Studi Magrebini, XII (1980), pp. 99 102 + tav.

[7] Barceló 1990: 44-50; 1998: 83-85.

[8] Ocana Jimenez, M. 1964: 25, n. 29.

[9] Barceló 1990: 57.

[10] يُنظر: تاريخ ميورقة، ص 26.

[11] يُنظر: تاريخ ميورقة، ص 27.

[12] Rossello 1969: 49-56.

[13] Rossello 1969: 53.

[14] Wasserstein 1985:89

[15] Rubiera 1985: 113.

[16] Viguera 1994: 65-64:

[17] Rossello 1969:137.

[18] يُنظر: عبد الرحمن حسب الله الحاج أَحمد، بنو الاغلب: إدارتهم ودورهم الحضاري في إفريقيا، مجلة دراسات إفريقية - العدد 20، يناير 1999م